كلمـــات

للاستاذ على الطنطاوى

٥ — مشكلة وجيه

سيدى الوجيه الكبير

قرأت كتابك الذى أرسلته إلى ، وفهمت قصتك الطويلة ، أما رأيى الذى تقسم على بأن أعلنه بصراحة ، وأن أنشره فى ذات الوقت تسوى حسابها مع أمريكا !

ربما يقول بعضهم : ألا ترى ؟ أليس هذا دليلا على أن قيام الكتلة الإسلامية هو من وحى السياسة الاستعمارية ؟

إنه حق يراد به باطل ! يجب أن نفرق بين البواعث الطبيعية لقيام الكتلة الإسلامية ، وبين محاولة الاستعمار أن يستغل هذه الحركة الطبيعية

إن قيام الكتلة الإسلامية اليوم ، على أساس النظام الاجتماعى الإسلامى ، وعلى أساس تحكيم الشريعة الإسلامية فى الحياة . . هو حركة طبيعية لابد منها كما أسلفنا . . أما محاولة الاستعمار أن يستغل لحسابه هذه الكتلة الناشئة فهى محاولة مصطنعة يمكن القضاء عليها

وإذن فلندع اقيام الكتلة الاسلامية ، على أساس النظام الاجتماعى الاسلامى ، لا على أساس اتفاقات دبلوماسية بين بعض السياسيين — على طريقة جامعة الدول العربية ! — ولكن علينا أن ننشر حركة وعى إسلامى حقيقى بين الشعوب . وهذا هو الضمان لاستقلال هذه الكتلة عن الاستعمار ، وقيامها على أساس مكافحة الاستعمار

وحين يقوم العالم الاسلامى على أساس النظام الاجتماعى الاسلامى ؛ فإنه سيكون فى حصانة من الشيوعية ، بل سيكون بدء تحطيم الكتلة الشيوعية ، والنظام الشيوعى . .

هذه حقيقة واضحة نحب أن ننفض عنها الغبار ، ونعرضها ناصعة للأنظار والأفكار . . .

سيد قطب

فإنى أخاف أن تغضب إذا أبديته لك ، أو أن يلومنى على إبدائه القراء

لأن رأيى فيك ياسيدى المحترم أنك — أحمق كبير ، ولا مؤاخذة ، وأنك لا تصلح أبداً لهذه البنت العاقلة ، وأنك مع الأسف صورة لأكثر الآباء ، لا تختلف عنهم إلا كاختلاف نسخ القصة المطبوعة بعضها عن بعض . فهمت من كتابك أن الخاطب الذى رغبت فيه ابنتك عالم فقير ، لا يملك إلا شرفه وخلقه وعزة نفسه ، والمال الذى يأخذه بكد يمينه ، وعرق جبينه

وأن الخاطب الشاب الجميل الغنى الدلل وحيد أبويه ، اسم الله عليه ، الذى يملك وزنه ذهباً ، لم تقبل به البنت لأنه ليس بصاحب علم ، ولا بذى مهنة ، وأنها أبت من تريد ، وأبيت من أرادت ، فهقيت بلا زواج

وأنك حائر فى هذه المشكلة لا تدرى ماذا تصنع ؟

ومشكلتك هذه ياسيدى مشكلة البلد كله

مشكلة سببها أنتم أيها الآباء ، الذين يحسبون البنت سلعة فهم يريدون أن يبيعوها ، لمن يدفع فيها الثمن الأكبر ، ويظنون الزواج صفقة تجارية ، فهم يتمنون أن يخرجوا منها بالربح الأوفى

أنتم سلبتم الزواج معناه الإنسانى العاطفى ، وجعلتموه معاملة مالية ، يبحث فيها عن المهر والجهاز ، والحفلات والولائم ، قبل أن يبحث عن التوافق والحب ، والسعادة الزوجية

أنتم وضعتم الأشواك فى طريق الشباب الذين يريدون بناء البيت ، وإنشاء الأسرة ، وإرضاء الله والخلق ، وأقفلتم فى وجوههم أبوابكم ، ففتحتم لهم بذلك باب الفجور والفساد ، وعبدتم لهم طريق البغاء والمرض والإفلاس

أنتم الذين يضحون بصحة بناتهم ، وبأخلاقهن وبسعادتهن فى سبيل التفاخر والتكاثر ، والعظمة الفارغة ، ويضحون بعد ذلك بمصلحة هذا الوطن ! أنتم المسئولون عن مشكلة البغاء المبرى أنت وأمثالك من الآباء ! وتسألنى بعد ذلك رأيى ؟

رأيى أنك مجرم كبير ... ياسيدى الوجيه الكبير !

٦ — بترول

قرأت أن أمير إحـــدى الممالك العربية صار

أفق رجل فى العالم ، وأن البترول الذى ظهر فى أرضه ... سيأتيه كل سنة بـ ... بمبلغ نسيت والله مقداره من ضخامته ...

قرأت هذا الخبر فكدت من العجب أفقد عقلى

أيأخذ شيخ هذه الحمية وحده ثمن البترول ، ويتصرف فيه على هواه ولا يقول له أحد . ماذا صنعت ؟

ومن أعطاه هذا البترول ؟ ومن كتب له به سند التمليك ؟

فى أى عصر نعيش أيها الناس ؟

إنه بترول هذه الأرض التى أكلت أجساد أجدادنا ، وشربت دماءهم : أرض العرب. فهل ترونها ادخرته فى بطنها ثلاثة ملايين سنة حتى يأتى فى آخر الزمان الشيخ الفلانى فيأخذه وحده ملكا خالصاً له ، ليعطيه لأميركا أو لإنكلترا ؟

إنى لأسأل مرة ثانية : فى أى عصر نعيش ؟

وأين هى ديمقراطيـــة أميركا وإنكلترا ؟ أمن شرع الديمقراطية إن نبع البترول فى صحارى كاليفورنيا أن يكون ملكا لترومان ، ينعم بثمنه هو وأولاده وعبيده (إن كان له عبيد) ويسخر اشهواتهم ولذاذاتهم ، ويترك الشعب فى بلائه وشقائه ؟

الديمقراطية كلمة يونانية الأصل ، جاءت من (ديموس) أى الشعب ، وكل شئ فى الديمقراطية للشعب ، وخيرات الوطن وبترول الأرض لأصحاب الأرض.

فلماذا لا يكون بترول أرض العرب للعرب ، يسخر لمصالحهم ويشترى به لهم المجد والقوة ، والحضارة والعلاء ؟ لماذا لا تصير به أرض العرب جنات فيها من كل الثمرات ، وفيها المدن والمصـــانع والقلاع والمدارس ، وفيها الطرق والجسور وكل ما أنتجت المدنية وأعز العمران ؟ أليس ملك الشعب ؟

انى لأسأل ، فهل من مجيب ؟!

٧ — الزوجة الثانية

قابلت أمس صديقاً لى فوجدته ضيق الصدر ، لفس النفس، كأن به علة فى جسده ، أو هما فى قلبه ، فسألته أن يكشف لى أمره فتأبى ساعة وتردد ، ثم قال لى : أنت الصديق لا يكتم عنه ، وإنى مطلعك على سرى ، ومستشيرك فيه : إنى أريد الزواج

— قلت : وما فعلت ربة دارك ، وأم أولادك ؟

— قال : هى على حالها .

— قلت . وهـل أنكرت شيئاً من خلقها أو من دينها ، أو من طاعتها لك ، وميلها إليك ؟

— قال : لا والله !

— قلت : فلم إذن ؟

— قال : إنى رجـل أحب العصمـة وأكره الفجور ، وقد ألفت زوجتى حتى ما أجد فيها ما يقلع نفسى عن أن تميل إلى غيرها، وبصرى عن أن يشرد إلى سواها ، وأطلت عشرتها حتى ملتها وذهبت فى عينى فتنتها

قلت : ما أقبح والله ما جزيتها به من صحبتها وإخلاصها ! وما أعجب أمرك تسمع صوت النفس، وأنت تظنه صوت العقل ، وتتبع طريق الهوى ، وأنت تحسبه سبيـل الصلاح ، وهذا من تلبيس إبليس ، ومن وساوسه !

وهل تحسب أن المرأة الجديدة تقنعك وتغنيك ، إن أنت لم تقهر نفسك وتزجرها ؟ إن الجديدة تمر عليها الأيام فتصير قديمة ، وتطول ألفتها فتصير مملولة ، وتستقرى جمالهـا فلا تجـد فيها جمالا فتطلب ثالثة ، والثالثة تجر إلى الرابعة ، ولو أنك تزوجت مئة، ولو أنك قضيت العمر فى زواج ، لوجدت نفسك تطلب امرأة أخرى ...

وهذى سير الملوك الذين كانت تحمل إليهم كل جيلة من كل بلد ، وكان فى قصورهم آلاف الجوارى من كل بيضاء ، وسمراء وسوداء ، وعربية ، وتركية ، وكرجية ، وأفرنجية ، من كل سن وكل لون ، وكل جنس وكل شكل ، فهل أشبع ذلك هوى نفوسهم ؟ وهل عصمتهم من أن يتطلع أحدهم إلى المرأة المعنة فيشتهيها أو يهم حبا بها ، ولا يرى لذته إلا بقربها ؟

وهل الزواج وحده لهذا (الأمر) وحده ؟ فأين الوفاء ؟ وأين التذمم ؟ وأين حقوق العاشرة ؟ وأين روابط الولد ؟ وهل تقوم الحياة على الحب وحده ؟

هل يمضي زوج عمره في تقبيل وعناق ؟ إن لذلك لحظات وباقي العمر تعاون على الحياة ، وتبادل في الرأي ، وسعي للطعام واللباس وتربية الولد ، واسترجاع الماضي والإعداد للمستقبل :

وهل تظنك تسعد بين زوجتين ، وتعرف إن جمعتهما ما طعم الراحة ؟ وهل تحسب أن ولدك يبقى معك وقد عادت أمه ، وصادقت غريبة جئت بها تشاركها دارها ومالها وزوجها ؟ فهل يرضيك أن تثير في أسرتك حرباً تكون أنت أول ضحاياها ؟

لا يا صاحبي ، لقد تغير الزمان ، وتبدل عرف الناس ، فعليك بزوجك . عد إليها وانظر إلى إخلاصها ، لا تنظر إلى وجهها ولا إلى جسمها ، فإني قرأت كتباً في تعريف الجمال كثيرة ، فلم أجد أصدق من تعريف طاغور : « أن الجمال هو الإخلاص » ولو أن (ملكة الجمال) خانتك وغدرت بك لرأيتها قبيحة في عينك . ولو أخلصت لك زنجية سوداء ، كأن وجهها حذاء السهرة اللماع لرأيتها ملكة الجمال ...

وثق أن ما حدثتني به سيبقى سراً بيننا لا أفشيه أبداً ، ولا أطلع عليه أحداً !!

وهل سمعت أن أديباً (أفشى) سراً ؟!

٨ — نعم . لقد هزمنا !

إلى الأستاذ الذي كتب إلي فلم أعرف اسمه ولكن نم أسلوبه على فضله :

نعم . لقد هزمنا في فلسطين ، ولكنها لم تهزم فينا إلا الأخلاق التي قبسناها من غيرنا ، وتركنا لها أخلاقنا . ما هزم إلا التردد والاختلاف ، والثرثرة والكلام الفارغ ، وإيثار الزعماء مصالحهم على مصالح الأمة ، واتخاذ الإنكليز والأميركان أولياء ، أما سلائق العروبة ، أما خلائق الإسلام ، أما الإرث الذي تركه محمد في عروقنا ، معشر العرب ، وصبه في دمائنا ، فلم يهزم ولن يهزم أبداً

إن لكل أمة أياما لها ، وأياما عليها ، وليس العار أن يغلب البطل ، ولكن العار أن يجزع من الغلب ويرضاه ، ولا يعاود الكفاح ، ولقد مر علينا في تاريخنا مصائب أشد هولا ، لقد قامت في هذه البقعة من فلسطين دولة أنوى من هذه الدولة الكسيحة ، دولة زحفت أوربا كلها لتقيمها وتحميها ، فعاشت أكثر من مئة سنة فأين هي اليوم ؟

هدمها رجل واحد اسمه صلاح الدين ، فذهبت حتى أن أكثر القراء لم يكن يدري بها ، قبل أن يسمع مني الآن خبرها

فلا تجزعوا كثيراً من ضياع فلسطين ، بل اجزعوا من المصيبة التي هي أكبر من ضياع فلسطين ، ومن ضياع بلاد العروبة كلها ، لا أذن الله — أتدرون ما هي ؟ هي أن تخسروا إيمانكم بأنفسكم وماضيكم ، وأن تفقدوا كبرياءكم ، وتنسوا عزتكم ، وتجهلوا مكانكم في هذه الدنيا

تلك هي المصيبة حقا ، ولن تكون أبداً ، وإن داخل الضعف نفوساً قد اكتهلت وشاخت في ظلام الماضي القريب فسيكون من هؤلاء الأطفال ، شعب نشأ في نور الاستقلال ، وستلهب دمه ذكريات عشرة آلاف معركة مظفرة ، خاضها الجدود ، وسيخرق صماخ أذنيه نداء عشرة آلاف بطل ، أنجبهم الجدود ، وستدفعه إلى ميادين التضحية والبذل ، حتى يطهر أرض الوطن من إسرائيل ، ويغسل بالدم هذه الصفحة التي كتبها في تاريخنا التردد والتخاذل والانقسام ، وحتى يعيد مجد الماضي فيقرأ الطلاب في المدارس بعد حين ، خبر هذه الدولة التي قامت يوما في فلسطين باسم دولة إسرائيل ، كما نقرأ نحن اليوم خبر الدولة التي أقامها من قبل جوع الصليبيين

ومن شك في هذا لم يكن عربيا ولم يكن مسلما

٩ — الآن يا بنت

الآن يا بنت ؟! الآن ؟! بعد ما سفح الماء ، واحترق العود ، تكتبين إلي بدم القلب ، ودمع العين تقولين : تعالوا يا عقلاء ، ويا مصلحون ، خبروني ماذا أصنع ؟ وهل يقدر أحد أن يرد الماء الذي انداق ، والعود الذي احترق ، والعناء الذي انخرق ؟

وهل رجعت لهلت عذريتها ، بعدما فقدتها ، حتى تعودي

عذراء كما كنت ؟ فلا تطالبي المحال فإن الميت لا يعود ...

وإنه قد بطل الخيار ، ولم يبق إلا طريق واحد ، فانسى كل ما ذكرت لي من شرف أسرتك وهوان عائلته ، وفقر آله ، وتوسلي إليه أن يتزوج بك ، فلعله قد بقي في قلبه شيء من شرف الرجل ؛ أو عاطفة الإنسان فيصلح ما أفسد

أما أهلك فإن الأيام ستروضهم على الرضا بالواقع ، فيندمل مع الزمان الجرح ، وتذهب القطيعة ، ويطول بهم الفكر ، فيعلموا أنهم هم المذنبون ، وأنهم هم الذين ساقوك إلى دكان الجزار ، وألقوا بك بين أنياب الذئاب ، عزلاء لا مخلب لك ولا ناب ، ولو أنهم نشؤوك على عادات الدروبة ، وآداب الإسلام ، لما كان الذي كان .

واعلمي يابنتي أن قصتك مع هذا الشاب ، زميلك في المدرسة ، قصة كل بنت حواء مع كل ابن آدم ، يميل إليها ، وتميل إليه ، (فطرة الله التي فطر الناس عليها) لكنه يريد منها غير ما تريد منه ، إنها (وهي التي تحمل وتلد) تريد أن يكون لها أبدا وحدها ، كما تكون له أبدا وحده ، تريد حبا باقيا لأن آثاره باقية فيها ، تنتقل من الرغبة إلى الأمومة ، وهو يريد أن يقطف الزهرة ويمضي الثمرة ، ثم يواليها ظهره ، يبحث عن زهرة أبهى لونا ، وثمرة أشهى طعما ، فالحب عندها استمرار ودوام ، وهو عنده لذة ساعة ، ومتعة نهار ، ثم إنها إذا أخطأ معاء فغر المجتمع له خطيئته ، ولم يغفر لها خطيئتها أبدا

من هنا جاءت شكوى النساء من خيانة الرجال ، ومن هنا حرم الله ، ومنع الشرف اقتراب الرجل من المرأة ، إلا بعد أن تقيده بقيد الزواج ، لئلا يتبع فطرته وهواه ، فيقضي أربه ويهرب — إن هذه القيود إنما كانت لمصلحة المرأة ، ولكن من النساء من يحاول الخروج عليها ، والتخلص منها ، أفليس هذا عجيبا ؟

على أنك لو لم تشجعيه لما أقدم ، ولو لم تضعفي عنه لما قوي ، ولو تصونت عنه بالحجاب ، وتمنعت منه بالخلق ، ولو أن كل بنت كانت تحمل عقلها دائما في رأسها ، لانتفاء في قصة غرام ولا ديوان غزل ، ولا على مقاعد السينما ، وكرامتها بين عينيها ، وتعرف كيف ترد عنها كل شيطان إنسي يبتغي العدوان عليها بالكلام إن كان ممن يفهم بالكلام ، وبكعب الحذاء تخلعه وتنزل به على رأسه ، إن كان سفيها خبيثا قليل الحياء ، لما طمعت بعفافها فتاة . فالأمر في أيديكن يابنات ، وإن أفسق الرجال وأجرأهم على الشر ، يخنس ويبلس ويتوارى ، إن رأى أمامه فتاة مرفوعة الهامة ، ثابتة النظر ، تمشي إلى غايتها بجد وقوة ، وحزم ، لا تلتفت تلفت الخائفة ، ولا تضطرب اضطراب الخجول ، ولا عبس ميسان من يقول : هأنذا فمن يريدني ؟

وبعد يا بنتي فلا تيأسي ، فما في الذنوب ذنب غير الشرك يضيق عنه عفو الله ، ولا في الوجود مذنب يرد عن بابه إن جاءه تائبا نادما منيبا ، وإن في عفو الله متسعا لجميع العصاة (قل: ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)

علي الطنطاوي

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والصلة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد